

الشيخ الدكتور أحمد الوائلي.. حياته وهمومه من خلال أشعاره

الدكتور عبد المطلب محمود سلمان

كلية التربية / جامعة المثنى

الدكتور غانم نجيب عباس

كلية التربية / جامعة المثنى

المقدمة :

مثلّ الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، علامة متميزة في حياته وبعد رحيله إلى جوار بارئته، من العلامات الدالة على العبقرية الفكرية والعلمية والدينية من جهة، وعلى القدرات والمواهب الأدبية الفذة التي تمتع بها، شاعراً بشكل خاص، من جهة ثانية، حتى كان في حياته مثالا للنبوغ ولتوجيه هذا النبوغ - فكراً وعلماً وأدباً - نحو رعاية شؤون العقيدة الإسلامية بما يخدم التطلعات الإنسانية عامة وتطلعات محبي رسول الهدى وإمام الرحمة، محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله المطهرين، بوجه خاص، حتى عُرف بمحاضراته الدينية العلمية المثيرة والمهمة، التي ما تزال تحظى بمكانة خاصة في نفوس متلقيها، وإن توقف عن مواصلة تقديمها من على المنبر النبوي الحسيني بغيابه الجسدي، فهي مدرسة علمية متنوعة المضامين والمعلومات القيّمة بحدّ ذاتها، وإن تحدّدت أهدافها ومراميها بخدمة هذا المنبر الشريف، وبدا فيها الشيخ الراحل ومن خلالها واحداً من أصدق المدافعين عن رسالة الإسلام والمحبين الأوفياء للرسول الكريم وآل بيته الأطهار، والمتمسكين الأشداء بمنهجهم وسيرهم العطرة، حتى استحق لقب (أمير المنبر الحسيني) بكل جدارة وموضوعية.

وفي هذا البحث القصير، محاولة للتعريف بجوانب من حياة الراحل الكبير، طيّب الذكر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمة الله عليه، وما انعكس منها في مسيرته الشخصية العلمية والأدبية، مدركين أساساً إنّ الإلمام الواسع بها لا يمكن أن يوفي الفقيه حقه، بله هذه الصفحات القليلة، إلا أننا رأينا إن جهد المقلّين هذا من شأنه أن يقرّب صورة هذا الرجل العالم والشاعر إلى الأذهان، لاسيما عبر استجلاء جوانب من همومه الذاتية سواء بشدة تعلقه بمدينته (النجف الأشرف) أو بما واجهه من متاعب صحية جسدية ونفسية، جرّاء رحيله القسري عنها، ذلك الرحيل الذي فرضته عليه ظروف خارجة عن إرادته، مما سيتناوله هذا البحث مما انعكس في ما تركه الفقيه الكبير من أشعاره المنشورة تحديداً، وهو موضوع يستحق - في تقديرنا - الوقوف عليه، لأهمية ما يعرضه من إضافات إلى مسيرته الحياتية الحافلة بالعطاء الفكري والعلمي والأدبي، حتى رحيله عن دنيا الناس في تموز من عام ٢٠٠٣ الميلادية.

نسأل الله التوفيق في ما بذلنا وقدمنا، خدمة لهدفين متصلين بعضهما البعض الآخر، هما هدف دراسة التاريخ في إمطة اللثام عن جوانب من خلفيات هذه الشخصية الفذة من جانب، وهدف الدراسة الأدبية في الوقوف على انعكاسات تلك الحياة على أحد جوانب إبداع الشيخ الوائلي رحمه الله، ونعني

به أشعاره التي نظمها في مسيرة حياته، آملين أن يكون السداد حليفنا في بحثنا.. ومن الله العون والسداد.

الشيخ الوائلي / سيرة حياة :

هو أحمد بن الشيخ حسون بن الشيخ سعيد بن الشيخ حمود الليثي الوائلي. كانت ولادته في مدينة النجف الأشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٧ هـ، أو ٩٢٨ م، وفيها نشأ وقضى معظم سني حياته، في كنف والده المرحوم الشيخ حسون الوائلي الذي رحل عن الدنيا سنة ١٩٦٣ م، ووالدته المرحومة الحاجّة بببي بنت الشيخ جواد بن محمد حسين بن الشيخ علي زيني النجفي^(١). وكان والده تاجراً للحبوب قضى أكثر حياته في قضاء (أبي صخير) قبل أن يتجه لخدمة المنبر الحسيني، وقد ربّى نجله (أحمد) تربية صالحة، وأدخله في السابعة من عمره لدى كتّاب الشيخ عبد الكريم قفطان في مسجد الشيخ علي نواية، الكائن في سفح جبل (الطمّة) من محلة العمارة في النجف الأشرف، حيث تعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم، على جاري عادة الصبيان في ذلك الوقت، قبل أن ينتقل به إلى مدرسة حكومية حيث أدخله مدرسة الملك غازي الابتدائية، وأنهى الصبي أحمد الدراسة فيها عام ١٩٥٢ م، لينتقل إلى مدرسة متوسطة منتدى النشر فينهي دراسته فيها، ثم يدخل كلية منتدى النشر في النجف الأشرف ويتخرّج فيها بتفوّق، وكان من أقرانه فيها الشيخ محمد حسن آل ياسين (الباحث والمحقق الثبت الراحل رحمه الله)، والشيخ أحمد المظفر والسيد صادق القاموسي رحمهما الله. وقد التحق الشيخ أحمد الوائلي بكلية الفقه فور تأسيسها عام ١٩٥٨ وتخرّج فيها عام ١٩٦٢ حاصلًا على بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ليكمل دراسته في الماجستير في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة بغداد، وكانت رسالته قد حملت عنوان (أحكام السجون بين الشريعة والقانون)، ثم لينتقل إلى القاهرة للدراسة في كلية دار العلوم التابعة لجامعة القاهرة، ليحصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٨ عن أطروحته الموسومة (استغلال الأجير وموقف الإسلام منه)^(٢). وفي أثناء وجوده في القاهرة التحق بالمعهد العالي للبحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، ودرس الاقتصاد على يد أساتذة متخصصين بارزين، من بينهم الدكتور علي لطفي الذي تولى منصب رئيس الوزراء فيما بعد، ليجعل من دراسته للاقتصاد عونًا له في إعداد أطروحته للدكتوراه، لكون الأطروحة بحثت في موقف الإسلام من قضية اقتصادية وإنسانية بالغة الأهمية، تتعلق باستغلال العمّال وأي جُير من الأجرّاء لدى الغير، وما يتوجّب أن يحظوا به من ظروف عمل مناسبة وأجور مجزية،

وكيفية توزيع "فاضل القيمة / الأرباح" وأسس التوزيع، إلى غير هذا من الأمور الاقتصادية التي تتعرض
لأمور العمل حقوقاً وواجبات، وما حددته التعاليم الإسلامية بصدها^(٣).

أما دراسة الشيخ أحمد الوائلي الدينية (الحوزوية) فقد مرت بخطواتها التقليدية المعروفة، حيث
درس رحمه الله الأوليات والسطوح وقليلًا من المرحلة التي تلتها والتي أهلتها لممارسة دوره المنبري،
وكان من أبرز أساتذته في هذا المجال : الشيخ علي الثامر والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ هادي
شريف القرشي والشيخ علي سماكة والسيد حسين العاملي والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد حسين
المظفر والشيخ محمد رضا المظفر وغيرهم. فيما تولى تدريسه رحمه الله في مجال الخطابة كل من :
الشيخ محمد علي القسام والشيخ محمد علي اليعقوبي والسيد باقر سليمان والشيخ مرتضى آل ياسين
وغيرهم، وقد ساعدته مواهبه الشخصية وذكاءه وتمتعه بحلاوة الصوت على البروز في هذا المجال،
فضلا عن قدراته العلمية التي تحصل عليها في خلال دراسته الأكاديمية العالية التي سبقت الإشارة إليها
في السطور السابقة، حتى لقد وصفه أحد الباحثين بأن تلك الدراسة والتلمذة جعلت منه رحمه الله "
خلاقاً لسائر علماء المنبر كبيراً لا صغيراً وكبيراً"^(٤).

وإلى جانب نشاطه الديني في خدمة الرسالة المحمدية وخدمة آل البيت المحمدي الأطهار وتخليد
مآثرهم الدينية والفكرية وجهادهم السامي من أجل العقيدة، كان للشيخ أحمد الوائلي دور كبير في الحياة
الأدبية في مدينته النجف الأشرف وخارجها، سواء من خلال عمله في منتدى النشر - تلك المؤسسة
العلمية الأدبية المعروفة الذائعة الصيت - إذ أصبح سكرتيراً للمنتدى عام ١٩٧٠، ثم تم انتخابه رئيساً
له في عام ١٩٧٦، حيث شهد هذا الصرح الفكري في إبان ترؤسه له نهضة موفقة بعد أن مرّ بفترة
ركود نسبي إثر وفاة عميده وأحد مؤسسيه العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر، فكان من أبرز
معالم نهضة هذا المنتدى إقامة العديد من الندوات الثقافية وإقامة أول معرض للكتاب النجفي، وتأسيس
كلية الفقه بدلا من كليته السابقة، حيث حصل المنتدى على قرار بمعادلة شهاداتها على المستوى
الأكاديمي مع أقرانها من الكليات الرسمية^(٥).

وكانت للشيخ الراحل مواقف فكرية وأدبية مشهودة من خلال المنبر الحسيني الذي صار عميداً له
بحق، وكذلك من خلال مشاركاته في مهرجانات شعرية كبيرة مثل مهرجان الشعر العربي الذي عقد بعيد
المؤتمر الثالث لاتحاد الأدباء والكتاب العرب في بغداد عام ١٩٦٥، الذي ألقى فيه رحمه الله قصيدته
الشهيرة (رسالة الشعر) التي ضمّنها انتقاداته الصريحة للسلطة العرفية (إبان حكم عبد السلام عارف)،
وسلوكلها الطائفي المقيت وتفريقها بين أبناء الشعب العراقي الواحد، والتي قال في ختام أبياتها :

ومشتُ تصنّفنا بدُّ مسمومة متسنن هذا وذا مُتشيّع
يا قاصدي قتل الأخوة غيلة لموا الشباك فطيرنا لا يُخدع
غرس الإخاء كتابلُونيُّنا فامتدّ واشتبتك عليه الأذرع^(٦)

وبعد التغيير السياسي الذي حدث في تموز عام ١٩٦٨، وإثر عمليات القمع والإعتقالات التي
أخذت السلطة الحاكمة التي جاءت بصدام إلى رئاستها بممارستها، منذ عام ١٩٧٩ ضد رجالات الفكر
وعلماء الدين في المدن المقدسة، أثر الشيخ الوائلي رحمه الله أن يغادر مدينته الأحب إلى نفسه والأعلق

بقلبه (النجف الأشرف) والعراق كله، حيث توجه إلى الكويت لمواصلة رسالته الفكرية والدينية من على منابرهما، حتى إذا ما ارتكب النظام جريمة إعدام العالم والمفكر الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر، طلبت عائلة الشيخ الوائلي من عميدها في أحد اتصالاتها الهاتفية معه أن يبقى في الكويت، خشية أن تطوله يد السلطة وإجراءاتها التعسفية لكنها إذ لم تتمكن منه تمكنت من أحد أبنائه (الشهيد محمد حسين) الذي كان يعد أطروحته لنيل الدكتوراه في الاقتصاد، حيث اعتقلته عام ١٩٨٢ وأعدمته بعد عام من اعتقاله، وهو الأمر الذي جعل الشيخ الراحل يؤثر الإقامة في الشام (دمشق) والتقل منها إلى بعض دول الخليج العربي لأداء رسالته الدينية والفكرية التي آلى على نفسه أن يعيش من أجلها أو يفنى في سبيلها^(٧).

وفي أعقاب سقوط النظام السابق في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣، عاد الشيخ الوائلي رحمه الله إلى وطنه العراق عليلاً ليس له إلا أمنية أن يوارى الثرى - حين أجله - في تراب مدينته الأحب النجف وإلى جوار الإمام الذي به تعلق منذ ولادته إلى آخر لحظة في حياته، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، حتى إذا ما وافاه الأجل في منزله في مدينة الكاظمية ببغداد يوم الرابع عشر من تموز من العام نفسه (٢٠٠٣) كان له ما أراد، إذ شيع من أكثر من خمسة ملايين مواطن إلى مثواه الذي اختاره لجسده في حرم ضريح الصحابي كميل بن زياد النخعي (رض) في الكوفة، حيث "حمى علي" الذي طالما تغنى به وجعل منه نشيده الدائم في حله وترحاله، وفي محاضراته وأشعاره، وحيث سجل لنفسه ولأسرته الكريمة مواقف خالدة في سجل الحب الغامر لبیت الطهر المحمدي (على صاحبه وآله أفضل الصلاة والسلام)، والتضحية السعيدة من أجل إعلاء كلمة الحق الرسالية التي ورثها الأئمة الأطهار عن جدّهم رسول الله الكريم وعن أبيهم الأسد الغالب وأمهم الزهراء البتول.

هموم الوائلي من خلال أشعاره :

ظلت مدينة النجف الأشرف قرينة مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، في فكر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله وفي أشعاره على السواء، وقد ظلت همماً من همومه الشخصية، حتى لكانها الرحم الحاضن له - رحمه الله - بكليته، جسداً وروحاً أو روحاً وجسداً على السواء، وهذا ما أظهرته أشعاره التي نظمها فيها، سواء طوال إقامته فيها أو رحيله القسري عنها، بحيث سنجده - بعيد هذا الرحيل عنها مباشرة - لا يكتفي بالشكوى والألم لابتعاده الجسدي عن هذه المدينة المقدسة حسب، وإنما يشكو مرّ الشكوى من أوجاع مرّ ضيئة أصابت جسده، ومن آلام نفسية جمّة أصابت روحه، وهو ما سنحاول في هذا البحث عن نتبينه من خلال قراءتنا لأشعاره، وعلى أساس تقسيمنا لهذه الهموم على

محورين :

- الأول/ هموم التعلّق بالنجف (المدينة - الرجم).
- الثاني/ هموم ما بعد الرحيل القسري عنها.

فإذا توقفنا عند تفاصيل المحور الأول، سنجد إن ديوان الوائلي الشعريّ بجزأيه، فضلاً على ديوانه الثالث الذي جمع فيه أشعاره التي نظمها في آل البيت الأطهار، ووضع له عنواناً الشعر الواله بدبّ النبي وآله) قد حفلت بالعديد من المقاطع الشعرية، ثم بقصيدة مطوّلة كاملة في الجزء الثاني من ديوانه الشعري، تضمّنت كلها هذا المعنى الذي واشج بين المدينة وكوفتها وضريح نجمها الساطع أبداً تحت القبة الذهبية الشامخة، واهتمامه الكبير بها، وانشغاله انشغالا روحياً ومادياً بها، حتى يمكننا أن نقرأ في الجزء الأول من الديوان قوله في قصيدة (وافد مصر) التي ألقاها في الحفلة التي أقامتها رابطة (منتدى النشر) في النجف الأشرف، ترحيباً بالمؤرخ المعروف عبد الفتّاح عبد المقصود، عام ١٩٧٧:

أ فتّاحُ هذا مربعٌ في ترابِهِ لحيدرةٍ جسمٌ وفي أفضهِ فكرٌ
ثلاثٌ وعشرٌ من قرونٍ تصرمتُ ومازال منه فوق هذا الثرى عطرٌ
وأزمنةٌ مرّت بكلِّ صروفِها يشدُّ بها زيدٌ ويدفعُها عمرو
تمرُّ عليه وهي سوداءُ غيمةٌ فيمشي إليها وهو مُبلجٌ بدرٌ^(٨)

ثم نقرأ له في ختام قصيدته التي كتبها عام ١٩٦٦ في ذكرى الراحل الشيخ محمد رضا الشيبيني، وجعل عنوانها (ذكرى الشيبيني)، قوله محيياً (وادي الغري) وهو أحد الأسماء التي عُرفت بها مدينة النجف الأشرف، مشيراً إلى ما تضمّنه الوادي من ضريح شامخ للإمام علي (عليه السلام) ومن ثرى طاهر ضمّ في مقبرته المسماة بـ (وادي السلام) ملايين القبور التي انطوت على أشخاص وحدهم الكفن وأزال الموت منهم كل شعور كان يملأهم في دنياهم الفانية :

تحيةً أيها الوادي الحبيبِ إلى ربّي إليها النجومُ الزهرُ تتجذبُ
يلوحُ في لأبتيها من أبي حسنٍ وجهٌ ومن قسّماتٍ منه تختضبُ
غفتُ ملايينُ آمالٍ بتربتها السّمراءُ فهي على أبعادِها كُتِبُ
لو عن ثغورِ بهاٍ للثرى لغدتُ تلك المتالعُ فيها ينبتُ الشُتْبُ
تودّدتُ طبقاتٌ في قرارِتها وهوّم الخضمُ جنبَ الخضمِ واصطحبوا
حتى تعابير كانت فوق أعينهم ماتتُ فما ابتعدوا منها وما اقتربوا
أبا ترابٍ وفي تربةٍ ثويتَ به تطوي الرضا أملاً قد غاله الترابُ
وعندنا منه ما يحيا به أبداً مدى الدهور وعند الله يُحتسبُ^(٩)

أما في قصيدته (دمعة وفاء) التي نظمها عام ١٩٦٨ في رثاء صديقه الراحل (محمد الخليلي)، والتي جعل منها مناسبة لاستعادة ذكريات طفولته وصباه وشبابه في هذه المدينة العريقة المقدسة، وتمنيّه أن يكون دفنه عند رحيله عن الدنيا في ترابها، فقد آلى إلا أن يذكر نجف آبائه وأجداده وإخوانه ذكراً مليئاً بالأوصاف التي أحبها الشاعر الراحل، فهو يقول فيها مخاطباً مدينته:

نجفي يا خميلة في الفيافي وربيعلزيه وسط المحول

وتراباً مُعبراً لستُ أرضى عن حصاهُ نجم السما ببديل
يا معاني العُلا ويا مهبط الفكرِ ومحرابِ نابغاتِ العقولِ
يا مهادي الوثيرِ يومَ قدومي ووساداً أرجوهُ يومَ رحيلي
نام فيه أبي وشيخي وإخواني هيباً في ظلِّ حامي الدخيلِ
ثم ليقول في مستهلِّ المقطعِ التالي للمقطع المذكور أنفاً :
نجفي أفتدي خميلكِ والأغصانَ فيه من زاحفاتِ الرمولِ
ومن الشوكِ راح يغزوهُ والسعدانِ يمتدُّ عرضاً بطولِ
ويختمه بالدعاء إلى الله أن يحفظ مدينته ويصونها قائلاً :
ربُّ صنُّ بلدتي حقائقِ فضلٍ وقها من مكبلِ التضليلِ (١٠)

وإذ ننتقل إلى قصيدته (الطيب العاتب) التي ضمها هذا الجزء من ديوان الراحل الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، والتي كان رحمه الله قد أرسلها من منفاه الاختياري (دمشق) إلى نجله محمد حسين عام ١٩٨٠، فسنقرأ في أبيات منها ما أطلقه من مشاعر حنينه الجامح إلى (وادي الغري) وقبته الذهبية وما يحمله لهذا الوادي من صور جميلة راسخة في أعماقه، فهو يقول في عدد من أبيات هذه القصيدة :

حنيني إلى وادي الغريِّ وقبةٍ يُغازلُه نجمُ السما ويلاعبُ
عليها لعابُ الشمس تيرٌ وتحتها أئمةُ عرفانٍ وحبرٌ وراهبٌ
نقاةُ أصابوا من عليٍّ أبا هوىً وحبر تقيٍّ، والصالحاتِ نسابُ
وتاقوا إلى المثنوى الأخيرِ بجنبه ونعم عليٍّ في الشدائدِ صاحبُ
فلا زلتَ يا وادي الغريِّ يلخه تمرٌ عليها الغاياتُ السواكبُ (١١)

وثمة مقطع آخر يمكننا التوقف عنده في قصيدته (تحية عيد إلى أولادي)، التي ضمها الجزء الثاني من ديوانه الشعري، ضمَّه مشاعره الصادقة نفسها عن مدينته المقدسة، ولأسيما ما ضمَّه تراها الطاهر من رموز دينية عظيمة كالإمام عليٍّ عليه السلام وضجيعه كليم الله (موسى) وخليل الله (إبراهيم) عليهما السلام، فضلا عن أهميتها الفكرية والعلمية في التاريخ الإسلامي، فهو يقول فيها مخاطباً أبناءه:

بنيَّ على بلدِ ضمِّكم ملاب الشذى في السنا الأروع
عرينٍ جعدٍ ومأوى أبي ترابٍ ودار الحمى الأمتع
سمات الكليم وطيف الخليلِ على ذكواتٍ به أربع
ووادٍ على تربيه أمرعتُ قرائحُ للملهم المبدع
ومعقل للنفرِ النابغينِ ومحرابٍ للسجدِ الرُّكعِ
ورمل تسيلُ عليه العصورُ بتاريخها الألقِ المبدعِ
وروحٌ من ابن أبي طالبٍ تمدُّ الخضيلَ على البلقعِ (١٢)

وإذ يختتم الشيخ الوائلي رحمه الله قصيدته (آهة في رثاء رفيقة العمر)، التي نظمها في تأبين زوجته وحملها الكثير من صادق مشاعره الإنسانية تجاهها، نقرأ في مقطعها الأخير وصاياها إلى الفقيدة

في مثنواها بأن توصل تحياته وسلامه إلى أرواح ذويه الراحلين المدفونين في أقدس تربة وأطهرها إلى جوار إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام، كما نقرأ وصفه الدقيق لتلك التربة الطاهرة وللإمام علي "حامي حماها" فهو يقول :

هنيئاً بمثواك الكريم بتربةٍ بحيثٌ مجيرٌ جاره لا يسلمُ
وجارٌ عليٍّ بالحمى وأبو الحمى سرىُّ يحيي الوافدين ويكرمُ
دفننبتُهُ أهلي ورهطي فكلُّهم لدى تلعاتٍ بالغريين نومُ
صد ليهم قولي رحمةً من مخلِّفٍ يقيمُ قليلاً بعدكم ثمَّ يقدمُ
وإن سألوا عني فقولني حبيبكم يصلي على أجدانكم ويسلمُ
سأبقى إلى أن تلنقي بثرى الحمى وقلبي لصيق بالترابٍ مُتيمٌ (١٣)

فالوائلي الشاعر هنا لا ينفك يجدد ذكر انتمائه الحميم لتربة النجف الطاهرة والتصاقه بها، وهي تربة لا تعدلها - في حسابانه - تربة طاهرة اللهم إلا تربة الكعبة المشرفة والمدينة المنورة حيث بيت الله ومثوى رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، فضلا عن شعوره الدائم الذي طالما كرهه في قصائد أخر بقرب أجله والتحاقه بذوي قرياه في مئاويهم القريبة من حمى علي عليه السلام.

وحين يخاطب الراحل طيب الذكر الشيخ الدكتور أحمد الوائلي في قصيدة أخرى (رسالة إلى صديق)، صديقا له من أبناء مدينته المقدسة، يعيد التغمي بالمدينة بأجمل العبارات، وبانتمائه إلى رمز المدينة الشامخ وعنوان شرفها الإمام علي عليه السلام، كما يعيد ابتهاله إلى العلي القدير بأن يحفظها ويصونها من عاديات الظروف الصعبة، فهو يقول في أبياتها الختامية :

نسبٌ بيننا وشيخٌ أبا... وادٍ جنب الغريِّ و طورُ
ورمالٌ لنفحة القدس فيها ساجداتٌ على تراها العصورُ
وانتماءٌ لحيدرٍ نمَّ عنه الدمُ والفكرُ والهوى والشعورُ
يألئني بأن نعود لواديه فواديه مهد علم ونورُ
فننقي نفوسنا في غديرٍ لعليٍّ فهو النقي الطهورُ
ونرَوي مشاشنا من نميرٍ لم يضارعه ما علمت نميرُ
ونشدُّ الغداة بالأمس صنواً وإن اغتال يومنا تكديرُ
حفظتكَ السماءُ يا روضنا الخصبَ ندياً وإن ألح هجيرُ (١٤)

أما في آخر قصائد الجزء الثاني من ديوانه، التي حملت عنوان (حنين) والتي كتب الراحل الوائلي تحتها عبارة : " ذكريات إخوان بالنجف الأشرف"، فقد خاطب أحبته من رفاق طفولته وشبابه ودراسته، وأبدى حنيناً طاغياً إلى مرابع مدينته وإلى عهود صباه فيها، حتى إذا ما قارب على ختامها أفرد الإثني عشر بيتاً الأخيرة من أبياتها الستة والستين لمخاطبة رمال النجف وتذكيرها بما تشكله بالنسبة له من

ذكريات حميمة ومن مواقف روحية وأحلام جميلة، فهو يقول :

ويا أيها الرملُ المهومُ بالحمى أ عندك من تلك العهود تذكرُ
وهل حفظت حباتك السمُرُ شدونا وظللت كما كنا نخططُ أسطرُ ؟

بجنبِ حصيِّ ظنِّ السما أنَّ نجمهُ تساقطتها إذ رآها تنورُ
غداة الهوى المشبوب في صبواتنا حسانٌ تخيلنا رؤاها وجوذرُ
يضجُّ الهوى فينا ووالله إنه لأنصع من ماء السماء وأظهرُ
وتسهرنا حتى الصباح أوانسٌ بأفكارنا لا كلبتٌ ومعصرُ
ليالٍ بها كلَّ النجوم تبرجتُ تقولُ بها للمغرياتِ معسكرُ
وتحسدها والدهرُ يحسدُ بعضه جميعُ الليالي وهي بالأنس تزخرُ
فلا زال يا عهد الصبا راعف الحيا يجلي شفيف الأفق منك ويمطرُ
ثم يخاطب تلعات النجف الأشرف ويتمنى عليها أن تشق له مضجعاً يستقرَّ جسده وذكرياته الحميمة
فيه، إلى جانب حبيبه الوصيِّ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، فهو يقول :

ويا تلعات بالغريِّ تحضني مغاربٌ في إشراقها منك تفخرُ
وشقِّي لهليها جنبك مضجعاً تنامُ به جنب الوصيِّ وتُحشرُ
وحسبُ أمانينا رضى وكرامة بأن الذي نهفو لمثواه حيدرُ (١٥)

فإذا انتقلنا - مؤقتاً - إلى ديوانه الأخير (ديوان الشعر الواله في النبيِّ وآله)، وقد أجلنا النظر في قصيدة مطوَّلة من بين قصائد الجزء الثاني آنف الذكر لأغراض فنيَّة، فسنتقف عند مقطع من قصيدة (من وحي شهداء عذراء) من ديوانه الأخير، نظمها رحمه الله وغفر له بعد زيارة لضريحهم سنة ١٩٨٣، حملَّ الشيخ الوائلي أحد مقاطعها مشاعره التي قارن فيها بين أرض (عذراء) هذه التي ضمَّ تراها أحداث أربعين شهيداً من شهداء الإسلام، بينهم عدد من صحابة الإمام عليِّ عليه السلام، وهي تقع على مشارف مدينة دمشق، وبين أرض النجف الأشرف مدينة روحه، التي طالما تغنى بها في كل حين، فهو يقول في المقطع المقصود :

عذراء راودني زعمُ بربك عن رمل الغريِّ فلم أذعنُ لما زعموا
فقد تكرر مني أرضٌ وأكرمها لكن وادي الحمى عندي هو الحرمُ
أرض النجوم وما بلقي مننتج أغنى نجوماً ولا زهرٌ ولا سدمُ
ومهد فكرٍ وإبداع وملحمة بها البطولاتُ بالأخلاق تلتحمُ
وادي الغريِّ ومأوى روح حيدرة وجنةٌ حولها الأرواحُ تلتئمُ
ما زلتُ أسرجُ أفكارِي بشعلته وأبتدي فيه أورادي وأختتمُ (١٦)

ولم يكتفِ الشاعر الشيخ بالمقارنة التي عقدها بين المكانين، بل نراه يختتم هذا المقطع بتأكيد اتخاذه (وادي الغري) سراجاً لأفكاره ومبتدأً أدعيته وصلواته الروحية وختامها، تعبيراً عن شدة تعلقه به وبترابه وبرمه الروحي العظيم (حيدرة) عليه السلام.

والآن؛ بالعودة ثانية إلى الجزء الثاني من ديوان الدكتور الشيخ أحمد الوائلي الشعري، والتوقف التفصيلي أكثر عند قصيدته المطوَّلة (إلى النجف الأشرف / بلدي الحبيبة)، يسترعي انتباه المتلقي أول ما يسترعيه وضع الشاعر الراحل عليه الرحمة عبارة الإهداء "إلى النجف الأشرف" في موضع القمة من ثرياً القصيدة (عنوانها)، خلافاً للعرف السائد في وضع عبارات الإهداء بعد العنوان، وهو ما فعله الشيخ

نفسه في جميع قصائده إلا في هذه القصيدة، وهذا يكشف - بحد ذاته - عن معنى داخلي مضمّر في أعماق الشاعر يؤكد مدى ارتباطه بمدينة و عمق هذا الارتباط، فهي باسمها المخصوص وليس سواها من أرض العراق أو غيره، المعني بعبارة العنوان "بلدي الحبيبة" أو "بلادي الحبيبة" مثلما جاء في فهرس الديوان، وهي العبارة الأصحّ والأكثر دقة مما جاء في أعلى القصيدة نفسها.

وقد أراد الشاعر أن يبدأ القصيدة بالعتاب، فإذا به يندفع لاشعوريا - بالطبع - نحو سيل الذكريات التي تملأ نفسه وما جرفه معه من حنين عاصف في دخيلتها، فهو يقول في مستهل القصيدة :

بعض العتاب فما تركتُ وفائي ورؤاكِ مُشرقةً على أجوائي
تجتادني قلّدتُ وأسرُّ مسمعي وقعاً وتغمُرني من الأضواءِ
قد عشتها نغماً ولما أن نأتُ عني دأبتُ أعيشُ بالأصداءِ
صوّرُ أقمنَ بمقلتيَّ إقامةَ المعمودِ في ربعِ الحبيبِ النَّائي
يزدّدن حُساُ كلما بعدَ المدى ويلفهنَّ البعدُ في لألاءِ
وترابُ أوطاني ربيعٌ أخضرٌ ولو أنها في بلقعِ جرداءِ
صافحتُهُ بالخدِّ عندَ ولادتي ورسمتُ منه بجبهتي طغرائي

ويعلن في مقطعها الثاني عن مبلغ أساه ولأوائه لبعده عن بلده - أو بلدته النجف - وتمنيه أن يكون له من أضلعه سوراً يصونه من الأذى والبلاء، لأنه بالنسبة له يعني "كلّ أهله" الذين يحنّ إليهم، لينهي هذا المقطع بالقول :

إبعثُ قليلاً من شذاكِ فإنني أستافعُطرَ رمالكِ العفراءِ
أنا بعضُ تريكِ بنتُ عنه بُرهة وغداً يطولُ لدى ثراكِ ثوائي

فهو إذا متعلق بثرى وطنه (نجف) لعلّما يحمل معنى التجذّر من الولادة حتى الممات، فهو وإن نأى عن ترابه وتألّم لهذا النأي الاضطرابي، لكنه يواسي نفسه وبلده بكونه سيدفن إثر رحيله الأبدى في هذا التراب نفسه فتطول مدة ثوائه فيه وعناقه له حتى قيام الساعة.

ويروح الشاعر الشيخ يستعرض ذكرياته واصفاً بلده (نجف) بأبهى الأوصاف وأزهاها، إذ طالما سُميت بطاها الناعمة الرمال باسم "وجنة العذراء"، وكانت مسارح الأطباء وحدائق لشقائق النعمان ومواقع للأديرة المسيحية وحانات رتع فيها الشاعر (أبو نواس) وصحبه المُجان، وطالما ازدهت بجداول مياهها العذبة الرقراقة، وبساتينها الوارفة الأشجار والنخل، حتى ليحسبها المتلقي الجنة الأخروية التي وعد الخالق تعالى بها المؤمنين، فهي :

بلدُ النخيل السامقات تخاليتُ مزهوّةً بالقامةِ الهيفاءِ

.....

وهي أيضاً :

بلدي تعانقَ والنجوم همومه وترود كلَّ بعيدةِ عصماءِ
نبتتُ بترتبه العلومُ وأنجبتُ ثللاً مميّزةً من العلماءِ
صنعتُهُ مدرسةً الوصيَّ ونوّعتُ ملكاتهِ وبنّتهُ خيرَ بناءِ

بلدُ الفصاحةِ والسماحةِ والندى ومُعرَّسُ الأبرارِ والفقهاءِ

.....

وإذ يصل إلى المقطع الأخير من هذه القصيدة المطوّلة، فإنه سرعان ما يبدأ بالقسم "بحق رمل" وادي الغريّ الذي طالما اشتاق إليه الشاعر الشيخ في منفاه الاضطراري، بعد أن تعرّض للمضايقات من السلطة الحاكمة، وتعرّض أنجاله للملاحقة والسجن، فيقول :

وادي الغريّ وحقّ رملك وهو ما أشتاقه في غدوتي ومسائي
لو تستبين على البعاد مشاعري ملهوبة كالجمر في الظلماء
وصبابتي وأنا القصي عن الحمى ويمقلتي تلقّت الغرباء
لحزنت لي ولحنّ رملك مثلما ضجّ الحنين بأدمعي ودمائي
فأنا ابنك البرّ الوفي وفطرة عطف الأب الحاني على الأبناء

.....

لينتهي إلى أن يذكر - بما يشبه تذكير هذا الوادي - كونه من طيور خمائل مدارس العلم وبأن له في ثرى ترابه جذوراً موعلة "من أعظم الأجداد والآباء"، وكونه سيكون منتهاه في ترابه مع أصوله وفروعه الأسرية :

ويراعم لي في حشاك دفنتهم كانوا النسيج البكر من أحشائي
واريت فيهم للطفولة بسمة ودفنت فيهم بهجتي وهنائي
فديك أصلي والفروع وإنني ألق لاحق بهما بدون مرأ (١٧)

ومهما بدت عواطف الشاعر الشيخ الوائلي رحمه الله تجاه مدينته (النجف الأشرف) مزدحمة بالصور والمعاني الصادقة المتدفقة، لكنه لم ينسَ ضرورات البناء الفني اللازم لجعل هذه العواطف تظهر إلى المتلقين بأكمل أساليب البناء الشعري المعروفة، من حيث الاهتمام بالأوزان الخليلية والقوافي التي أضافت إلى المشاعر الجياشة في أعماق نفسه أبعاداً جمالية حاول من خلالها أن ينأى بأشعاره عن المباشرة والسطحية، وعن العبارات النثرية التي تقلل من مستوى "شعريتها" المطلوبة، لاسيما أن الشيخ الوائلي رحمه الله قد أدرك هذه الحقيقة وأكد في مقدمة هذا الجزء من ديوانه، إذ كتب : " سيبقى الشعر ليس مجرد ردّ فعل على الحدث بل حمّال هموم وحليف رسالةٍ وغصن حيناً وسوطٍ حيناً آخر" (١٨).

أما إذا انتقلنا إلى المحور المضموني الآخر الذي عكسته أشعار الشاعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، لاسيما في الجزء الثاني من ديوانه الشعري، ونعني به محور (هموم ما بعد الرحيل القسري عن مدينة النجف الأشرف)، فسنعرض هنا متمثلاً بأجلى صورته ومعانيه في أساه وشعوره الغامر بدنوّ أجله، وقد أثقلت الأمراض جسده وأحسّ بالعناء من طول رحلته في الحياة - مثلما أبدى من أحاسيسه بهذا الاتجاه وإن لم يتجاوز من العمر الخامسة والسبعين عند رحيله إلى بارئه - فضلاً عن ألمه لاظطراره للتغرب عن بلده وعن رموزه الدينية الأحب إلى نفسه : الأئمة الأطهار (علي والحسين

عليهما السلام)، وهذا ما يظهر أولاً في قصيدته المطوّلة الأولى من ديوانه الثاني (إلى الكعبة الغراء)،
التي قال في أحد مقاطعها في إطار مناجاته خالقه عزّ وجلّ وبثّه هموم قلبه:
ويا ربّ رُوحِي أَثْقَلْتُهَا هُمُومُهَا وَأَرْهَقَهَا حُزْنٌ وَطَوَّلُ عَنَاءِ
وأوحشَهَا فَقَدْ أَحْبَبَهُ فَانْتَهتْ إِلَى مَنْزَلِ قَفْرِ الْفَنَاءِ خَوَاءِ
وَأَنْتَ عَطَاءٌ لَا حُدُودَ لَفَيْضِهِ وَقُرْبٌ مِنَ الدَّاعِينَ لَيْسَ بِنَاءِ

.....

ثم يناجي ربّه في مقطعها الأخير قائلاً:
ولي وطنٌ فيه أدوبٌ وصبيّةٌ بنيتُهُمُ من أدمعي ودمائي
وكلُّهُمُ مَسَّهُ الضَّرُّ والأذى وبات على قيدٍ من السُّجْناءِ
بكفكٍ يا ربّ المفاتيحُ كُلُّهَا وناصية الأشرارِ والشُّرَفَاءِ
وأنتَ وليّ فاكشفِ الضَّرَّ والأسى فما ضَرَّ لو أكرمتني لولائي
وما ضَرَّ لو أرسلتَ منكَ إرادةً لتُنهي احتكامَ القيدِ بالأسراءِ (١٩)

في حين نقرأ له في قصيدة (رسالة للحسين) بثاً لهم آخر من همومه الإنسانية، يتمثل بكونه
صار يعيش بعيداً عن المراقد المقدسة التي عاش عمره مرتبطاً بها أشد ارتباط، ولاسيما وهو أحد أبرز
خدم المنبر الحسيني، لا بل من استحق لقب (أمير المنبر الحسيني) عن جدارة، فهو يخاطب الإمام
الحسين عليه السلام في هذه القصيدة - الرسالة، التي لم يشأ منذ عنوانها أن يوحي ببُعده المكاني عن
إمامه فلم يستعمل أداة الجر (إلى) التي تفيد الإشارة إلى المسافات الطويلة، بل الحرف (ل) المرتبط
بالإمام الحسين عليه السلام، فيقول في مستهلها:

دأبتُ أزرُكَ في كلِّ عامٍ وألثمُ تَرَبَّكَ يا ابنَ النبي
ويا ابنَ عليٍّ ويا ابنَ البتولِ ويا ابنَ ذرّي المجدِّ من يثربِ

.....

ثم ليروح يشرح لحبيبه الإمام الحسين في هذه القصيدة - الرسالة سبب عدم معاودته زيارة ضريحه
الطاهر، وما فعله بمقابل ذلك، قائلاً:

ومرّت سنينٌ ولم أجتلي سماتك في روضك الأطيبِ
بعيدٌ ضريحك عن راحتي ولست بعيداً على مطلبِي
وحيث نأى الطفُّ زرتُ الشَّامَ وحدثُ لراويةً مركبي
إلى جدثٍ فيه منك المثلُ تحدّر من جذرك المنجبِ
فأنتَ أراك بكلِّ علاكٍ هنا قد تجسّدت في زينبِ (٢٠)

وفي قصيدته (رسالة للأمة) نقرأ شكواه الحافلة بالمرارة والأسى، إذ وقف على قبور الرسول الكريم

محمّوآله الطاهرين في المدينة المنورة، وراح يرثي لحال الأمة المتردّي، وقبل ذلك لحاله وقد أتعبته
السنون والظروف القاسية التي عانى منها ما عانى، فهو يستهلها بتوجيه الخطاب إلى نفسه أو لا فيقول:

خُذْ من الصالحاتِ ما تستطيعُ ما تبقى في الليل إلا الهزيعُ
ذهبت روعة الصباح وسحرُ الليل وارتدَّ للسكونِ النزوعُ
وتساوى ليلى محاقاً فما فيه من النجم غيبه والطلوعُ
والأماني المخصبات تحوّلنَ لصحراءٍ ليس فيها ربيعُ
ولقد كنتُ أستعيبُ بأحلامي إذا هزَّ واقعي ما يروعُ
فجفاني الكرى فلا وسنُ أهربُ فيه من واقع أو هجوعُ
في حين يقول في المقطع الثاني :

يا عوادي الزمانِ أكبرُ مني بعضُ هذا فكيف هذا الجميعُ
أنا بقيا ضلّلتُ اقتدارُ وأنا واحدٌ وأنتِ جموعُ
إنَّ عاراً على شموخ المواضي جرحُ عزلاءٍ ما عليها دروعُ
اعصفي أيها العوادي فما أنتِ كيانُ يصدُّه التفرّيعُ

.....
أيها النفسُ بعضُ بولكِ فالدنيا وقيدٌ من الأذى أو صريعُ
أمنياتٌ كذوبةٌ وفعالٌ نوبٌ كلُّها وبرقٌ خدوعُ
الذليلُ المهينُ يشبعُ فيها والسريُّ الأشمُّ فيها يجوعُ

.....
حتى إذا ما راح يُعدّد أسباب شكواه من ضياع المقاييس الحقيقية والمسالك المعوجّة التي صارت دين
الذين يدعون انتهاجهم سبيل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، والعقوق الذي نال آل الرسول
من هؤلاء وشيوخ ما سماه "العنة الغباء وروح العصبيّات" المقيّنة بين المسلمين، رجع إلى رحاب الأرض
المباركة ليخاطبها حزينا ليقول في ختامها:

يا رحاباً آثارُ جبريلَ فيها وسجودٌ أطيافها وركوعُ
وخشوعٌ لمجتبىٍ ولسجّادٍ وفقهٌ للصادقين برّوعُ
وصدى الذكر والتلاوة في المحرابِ من عهدِ فاطم مسموعُ
وصبيبٌ من رحمةِ الله يهمي وشذى الوحي والجلال المريعُ
ستعيشين والخلود ويبقى لكِ روضٌ بو عينا مزروعُ
وسنبقى نستافُ تتركِ طيباً وتروّي ثراكِ منّا دموعُ^(٢١)

وتستوقفنا قصيدته (رثاء ضرس) لما حملته من أسى ومرارة تجاه التردّي الذي صارت عليه القيم
والمقاييس الحياتية، فهو يتخذ من ضرسه الذي كان عليه أن يقلعه وسيلة إنسانية يبثها شجونه وبرّ مه
بالحياة، فضلا عن انتقاداته للمظاهر المزيفة التي غمرتها، من دون أن يغفل - رحمه الله - إبداء
السخرية والتهكم مما يجري من حوله، ومشاعر الوفاء لا لضرسه الذي فارقه بعد (٥٠) عاماً من الرفقة
حسب، بل الوفاء لصحبه ورفاق مسيرته الذين فارقه مكرهاً، فهو يقول في مستهل قصيدته هذه :

لرحيل بعضي دمعة في موقى ولهاثُ نبض بالفؤاد خَفوقِ
ورحيلُ بعضِ المرءِ يُحزنُ بعضهُ الباقي ويؤذنهُ بقربِ لُحوقِ
يا لثتي الثكلى خَلا بكِ مقعدٌ من أبيضِ حلوِ السماتِ رشيقِ
صلبِ الشكيمةِ من رماحكِ طاعنٌ مُتمرسٌ بالقطعِ والتمزيقِ

.....

سنيّ ليحزنُنّي وإنْ يكُ مؤلمي أنْ تغتدي عنيّ وأنتَ رفيقي
خمسونَ عاماً أو تزيدُ ونحنُ في دربِ الحياةِ معاً رفاقَ طريقِ
ذقتَ الحياةَ معي تعبُ بحلوها ويمرُّها من ناضبٍ وغدوقِ

.....

ثم يخاطب ضرسه في مقطع آخر من القصيدة، ولعل الشيخ الراحل رحمه الله قصد أن يتهمك

على الذين يجدون ويتدافعون في الحياة من أجل أشياء تافهة سرعان ما تزول، فهو يقول بهذا المعنى:

سنيّ أتعلمُ أنْ سعيكُ خاسرٌ تشقى وغيرُكُ رابحٌ بالسوقِ
ما أنتَ غيرَ رحي تدورُ لغيرها وسواكُ يأكلُ صفوَ كلِّ دقيقِ
وجميعُ رزقكُ بالطعامِ بقيةِ محشورةِ في حفرةِ وشقوقِ
فكأنكُ المثلُ الصريحُ لمعشرِ يسعونَ لكنْ سعيهمُ لخفوقِ

.....

أما في ختام هذه القصيدة فيخاطب الشاعر الشيخ ضرسه مؤكداً روح الوفاء التي تحلّى بها لأحبته وصحبه، وأسفه لفراقهم، فيقول:

يا ضاحكاً شاء الرحيلَ ودهرُنا يبكي ونحنُ بشدةٍ وبِضيقِ
فجرتَ عندي للوفاءِ جداولاً لعشيرِ عمرٍ مخلصٍ وصديقِ
وأنا الوفيُّ فما جفوتُ أحبتي يوماً ولا واجهتهمُ بعقوقِ
ومن السماتِ وشاحٌ ومن الوفا عهدٌ يؤلفُ أهله بوثيقِ
زان الحياةِ على جميعِ شروها ودُّ وفيٌّ أو حنانٌ شفيقٌ (٢٢)

وحين نقف عند قصيدة (لغة السياط) سنقرأ للشاعر الشيخ الوائلي رحمه الله، حالة أخرى من

الحالات التي طالما آلمته وشكلت همماً دائماً في وجدانه، ألا وهي حالة تبعثر الأمة وتمزقها على وفق ما أراده لها المستعمرون، وخنوع أبنائها وعجزهم وتباغضهم وقد تفرقوا مذاهباً ونحلاً حتى ضاعت

أجزاء عزيزة من ديارهم أمام أنظارهم، فما هو يقول:

أي سرٌّ فيما انتهينا إليه أنا والله أجهلُ التعليلِ
قتلتنا سيوفنا وقطعنا رحماً كان حبله موصولاً
لعنة الله للسيوف اللواتي ذبحتُ أهلها لتشفى الغليلا
جمع الله شملنا وأراد الغربُ تشتيتهُ فهزَّ الذيولاً
من أناس ترفعُ الدمَّ عنهم وأبى أن ينالهم تحليلاً

إبلٌ ما لهم من الفقهِ والقرآنِ شيءٌ ليعرفوا التدليلاً

ثم يقول في ختامها :

أيها الوادعونَ من أجلِ ماذا قد حشدتُم أسدنةً وخيولاً
أولَ القبلتينِ راحتُ ورُحتمُ لم تسلّوا إلا اللسانَ الطويلاً
لو صدقتُم عزيمةَ لظفرتُم فأخو العزمُ يصنعُ المستحيلاً^(٢٣)

وبمثل معاني القصيدة آفة الذكر وما حملها الشاعر الراحل من همومه، انطلق في قصيدته التي

أعقبها (خواطر في الليل)، والتي مما قاله فيها مواسياً قلبه المتعب :

قلبي وعفواً إذا ألححتُ مشتكياً فعنوكَ عيسرِي غيرُ منكمِ
وإنَّ عذراً شكاتي أنها لهبٌ أطفيه بالبتِّ كي أنجيكَ من ضرَمِ
لقد خشيتُ بأن يأتي عليكَ كما أتى على الجسمِ من قرنٍ إلى قدمِ
لأنَّ عندكَ أحزاناً أقدّسها وذكرياتٍ بها زادي ومؤتدمي
لم يبقَ لي حاضرٌ حلوٌ أعيشُ به ولا رجاءُ غدٍ أنفي به سامي
فعدتُ أحضنُ ماضٍ فيكَ يؤنسني كالبرقِ يومضُ في داجٍ من الظلمِ

ثم ليروح مخاطباً قومه شاكياً ما صادفه منهم من ازورار عن الحق وتكالب على إراقة دماء بعضهم، وانشغال بالخطب العصماء الرنانة عن مقارعة الأعداء والغاصبين وأكل حقوق الكادحين، خلافاً للشعارات التي يرفعها الحكّام، ليقول في مقطعها الأخير معرباً عن منهجه الإنساني القويم في الحياة وما يصبو إليه من عدالة ومساواة وانتصار للفقراء من الكادحين:

أويله ذكرياتِ الأمسِ تغمرني بالرائعاتِ وتجري نشوةً بدمي
هاتي لي البعضَ من أمسٍ مضى وخذي

عمري وما نلتُ من مالٍ ومن نِعَمِ

أيامَ عيشي على ما فيه من ييسٍ بالٍ رخيٍّ وشملٍ غيرِ منتقمِ
وللشبابِ أذليلٌ وأخيلةٌ وأمنياتٌ تدوسُ النجمَ بالقدمِ
وصفوةٌ من رفاقٍ في خلائهم من خيرٍ من ضمتِ الدنيا من النسمِ
والأرضُ يحكمها رهطٌ وإن نزلوا لا يُنسبونُ إلى ما جدَّ من نُظْمِ
لو ساوموني حصيٌّ من تحتِ أرجلهم

بأنجمِ الاشتراكيين لم أَسْمِ

الكاذبين على التاريخِ والمثُلِ الغرّاءِ والعلمِ والأخلاقِ والقيمِ

والحاملين شعارِ الكادحين و همُ محضُ افتراءٍ على العمّالِ متهمِ^(٢٤)

وثمة في هذا الجزء / الثاني من ديوان الراحل الكبير الدكتور الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله،

الكثير جداً من الهموم الإنسانية المتنوعة في معانيها وتوجهاتها الفكرية والقيمية النبيلة، نجد إن خير ما

يلخصها ويبلغها شأوها في هذا البحث الذي لم نشأ أن نطيل فيه كلاماً وشواهد من أشعار الراحل، قوله هو رحمه الله تعالى في المقطع الأخير من قصيدته المقطعية المتعددة القوافي (سوانح) :

سألتنى الهموم هل من مكانٍ غير هذا القلب الذي ما تهنأ؟
خلتني وللحب والشدوٍ وغرد به على البعد عنا
قلت قلبٌ بغير هم بلا معنى ومن لازم العناء معنى
إسأل العود دون شدٍ وقرع هل شدا في لحوئه وتغنى؟ (٢٥)

إن الشيخ الوائلي بهذا الشعر المتفجر بالمعاني الإنسانية النبيلة، شاء أن يترك لمحبيه ولمن يعرف موقعه الفكري والتوجيهي في خدمة الإسلام ومبادئه ورموزه الخالدة، ولمن لم يتعرف عليه عن كثب واكتفى بالاستماع إلى أحاديثه ومحاضراته المنبرية، صورة عن نفسه التواقفة إلى نشدان الخير وشيوع العدالة والتأزر الاجتماعي، تلك النفس التي لم يرهقها عنت الحياة وما عاشته من قسوتها في إقامتها أو في ترحلها الدائم، من أجل خدمة المنبر الحسيني (بل النبوي الشريف)، أو من أجل الابتعاد عن سطوة الحاكمين القساة، وسيظل اسمه خالداً في سجل المفكرين مثلما سيظل خالدًا بين أسماء الشعراء الذي أفرغوا همومهم في قصائد عبرت عن الحياة بأفراحها وأتراحها، وسيظل له مكانه ومكانته وصوته في هذين المجالين وفي سواهما من المجالات والميادين التي عرفته وعرف بقدراته الثرة فيها، وقد أغناها كلها بعطائه الصادق صدق روحه التي توجهت إلى بارئها "راضية مرضية" مثلما تمنى لها دائماً.

الهوامش :

- (١) الشيخ أحمد الوائلي مفكراً.. مريباً...، ٥٧.
- (٢) نفسه، ٧٧ مع هوامشها.
- (٣) نفسه، ٣٠٤ وما بعدها مع هوامشها.
- (٤) نفسه، ٧٥ مع هوامشها.
- (٥) نفسه، ٩٧ وما بعدها.
- (٦) تنتظر : ديوان الشيخ أحمد الوائلي، ٥٥/١.
- (٧) الشيخ أحمد الوائلي مفكراً...، م. ن، ١٠٢ وما بعدها.
- (٨) ديوان الوائلي، ٢٥ / ١.
- (٩) نفسه، ٩٦.
- (١٠) نفسه، ٩٨.
- (١١) نفسه، ١٢٨.
- (١٢) الديوان الثاني، ٩١.
- (١٣) نفسه، ١١١.
- (١٤) نفسه، ١١٧.

- (١٥) نفسه، ١٢٤.
- (١٦) ديوان الشعر الواله، ١٢٨.
- (١٧) الديوان الثاني، م. س، ٨٥ وما بعدها.
- (١٨) نفسه، ٨.
- (١٩) نفسه، ١٥ وما بعدها.
- (٢٠) نفسه، ٢٥ وما بعدها.
- (٢١) نفسه، ٣٢ وما بعدها.
- (٢٢) نفسه، ٤٧ وما بعدها.
- (٢٣) نفسه، ٥١ وما بعدها.
- (٢٤) نفسه، ٥٥ وما بعدها.
- (٢٥) نفسه، ٧٣.

مراجع البحث:

- ديوان الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، المكتبة الحيدرية، ج/١٤٢٤، ١٤١هـ.
- الديوان الثاني من شعر الشيخ أحمد الوائلي، الناظم الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط/١، د. د. ت.
- ديوان الشعر الواله في النبي وآله، الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الشيخ الدكتور أحمد الوائلي مفكراً.. مريباً.. خطيباً.. وشاعراً، الدكتور غانم نجيب عباس، بغداد، مكتب أحمد الدبّاح، ٢٠٠٦.